

فصل الخطاب في قضية السيوف

على جنود الكتاب والسنة

د. محمد الشافعي محمد صالح

الاستاذ المساعد في التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين والدعوة بشيخ السكوك

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين . سيدنا
محمد النبي الأمين . وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد . . .

إن من نعم الله علينا نحن - المسلمين - أن جعل لنا الإسلام دين
حقائق لا دين خرافات وأساطيل . وقد هدانا الحب والتأخي والتآلف وكل
الثمار الطيبة التي تليق من الإيمان الذي حياه إلينا الله وزيّنه في قلوبنا .
وقد هدانا الله إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، وكل ما يؤدي إلى هذه
الخصال المذمومة ، وما يؤدي إلى الوقوع فيها السحر ، وقد هدانا الله إلينا
ونفّرنا منه ، ولكن غريباً من الناس الذين حجب الله عنهم نور الإيمان
لا يقيمون الدين وزناً وهداهم [بذلك] الناس والإضرار بهم وسلوك كل
وسيلة تحقق لهم ذلك وكأنهم لم يسمعوا الأمر الكريم [لا ضرر ولا ضرار]
وهؤلاء هم السحرة الأشرار الذين يفرقون بين المرء وزوجه ، ويلشرون
بكيدهم الفزع والخوف فيمن يترددون عليهم ، وسلاحهم في ذلك المكر
والدهاء وهداهم التفجير بالسيوف ، يجتذبون إليهم القسام الرجال ، ويبتزون
منهم الأموال .

ومن العجيب أن ينتشر مثل هؤلاء السحرة والدجالون في وطننا الإسلامي وأن يكون لهم نشاط ضامض في مدته وقراءه ، وهذه ظاهرة مؤسفة تدور في خفاء وتسكن بأساليب ضامضة ، ومعالجات مثيرة ، وما زال العالم الإسلامي يتعرض لموجات متلاحقة من الغزو الفكري ، يترأى لنا بعضها في تلك الوثنيات الجديدة ، والشعوذات القديمة واستغلال حسن خان الناس وفطرتهم البريئة ، ودور علماء الإسلام هام وضروري في غرس العقيدة الطاهرة السليمة ، وهي عقيدة الإسلام البعيدة عن الخرافات والشعوذات في نفوس الناس .

وقد اخترت أن يكون موضوع هذا البحث قضية السحر ، في ضوء الكتاب والسنة آملاً أن أستطيع بتوفيق الله تعالى أن أعرض آراء علماء الإسلام في كل ما يتعلق بموضوع السحر من مسائل ، وأن أرجع منها ما يستحق الترجيح . وأسأل الله التوفيق في بلوغ هذا الهدف فهو نعم المولى ونعم النصير .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأبي وعلى آله وصحبه وسلم .

ذكر

عبد المنعم بدوي رباح

السحر في اللغة : السحر مصدر سحر يسحر سحرأ . ولا يوجد مصدر
لفعل يفعل على وزن فعل إلا هذا (١) فهو مصدر شاذ .

وقال الأزهري : وأصل السحر صرف الشيء من غير حقيقته إلى غيره ،
فكان الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق خيل الشيء على حقيقته (٢) .
وقد سحر الشيء من وجهه ، أي صرفه .

قال الجوهري : كل ما لطف ودق فهو سحر يقال : سحره أي أدى له أمراً
يدق عليه ويخفى ، ويقال سحره — خدعه (٣) .

ومنه قول امرئ القيس :

أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب
عصافير وذبان ودرد وأجرأ من جلحة اللذائب
أي تغذى وتخدع (٤) .

وقال الجوهري أيضاً : والسحر الأخذه وكل ما لطف مأخذه ودق فهو
سحر وسحره بمعنى خدعه .

وقال القرطبي : السحر : قيل أصله القوة بالحيل والتخايل وهو أن
يفعل الساحر أشياء ومعاني فيخيل للسحور أنها بخلاف ما هي به .

كالذي يرى الشراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء . وكذا كب

(١) البحر المحيط لأبي حيان ج ١ ص ٣١٩

(٢) لسان العرب لابن منظور ج ٢ ص ١٩٥٢

(٣) البحر المحيط ج ١ ص ٣١٩

(٤) لسان العرب ج ٢ ص ١٩٥٢

(٥) — حوالة أصول الدين — ص ٧٤

السفينة السائرة سيرا حقيقياً يحيل إليه أن ما يرى من الأشجار والجبال
سائرة معه .

وقيل : هو مشتق من سحرت المصبي إذا خدعته وكذلك إذا حالته ،
والسحير مثله .

قال لييد :

لأن لسألينا فيم نحن قاننا عصفير من هذا الأنام المسحر (١)

وقال الألوسي : السحر في الأصل مصدر : سحر ، يسحر ، بفتح العين
فيهما إذا أبدى ما يندق ويخيل وهو من المصادر النفاذة ، ويستعمل فيهما إذا
لطف ونحن سببه والمراد به أمر غريب يشبه الخارق .

وفي الحديث : « إن من البيان لسحراً » .

فسمى النبي ﷺ بعض البيان سحراً لأن صاحبه يوضح الشيء المشكل
ويكشف عن حقيقته لحسن بيانه وبلاغ عباراته (٢) .

وتسمية البيان الرائع سحراً هو من قبيل المجاز لا الحقيقة . فالخطيب
يستميل القلوب بحسن بيانه وروعة إداائه وجمال تعبيره كما يستميل الساحر
قلوب الحاضرين إليه بحفنة ورشاقته وتمويهه على الحاضرين ، ولذلك يسمى
البيان سحراً .

والسحر أيضاً من الترميم وسميت بذلك لحفاتها ولطف مجاريها . ومنه
حديث السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : « توفي رسول الله ﷺ بين
سحري ، وآخرى . أي مات رسول الله ﷺ وهو مستند إلى صدرها .

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠ - ١٣٤

(٢) تفسير الألوسي ٢٠ - ٢٣٨

وإذا أطلق لفظ السحر أفاد ضم فاعله ، قال تعالى : وسجروا أصين
الناس ، وقال تعالى : يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى . أي هو هو عليهم
حتى ظنوا أن حياتهم ومصيرهم تسير . وقد يستعمل مقيداً في ما يمدح
ويحمد .

تعريفه شرعاً : لفظ السحر في الشرع يختص بكل أمر يخفى سببه
ويشغل على غير حقيقة .

وهو قول أو فعل يترتب عليه أمر غارق للعاده ويعتد على وسائل من
الرق والعرائم وما أشبهها .

أنواع السحر : بين الفخر الرازي أنواع السحر ونحن نذكرها بإيجاز
لفقول :

الأول : سحر الكلدانيين والكمندانيين .

وهم الذين كانوا يعبدون الكواكب السيارة ، ويعتقدون أنها المدبرة
للعالم .

وهم الذين بحث لإيهام الخليل إبراهيم عليه السلام ببطلان لقائهم ورأى
للمصير .

الثاني : سحر أصحاب الأرواح والنفوس القوية ، وقد استدل على أن
لهم تأثير في الإنسان بأنه قد يسير شخص على جسر موضوع على
الأرض ولا يستطيع السير عليه إذا كان موضوعها على نهر مثلاً .

ومن المعلوم أن بعض النفوس بها من القوة ما تستطيع بها التأثير في
غيرها .

الثالث : الاستمالة بالجن . والسحرة يتصلون بالجن عن طريق عرائنهم

ورق وغالبا ما يكون فيها من الألفاظ الكفرية والأعمال المخافية للإسلام
وهم يسترون ذلك بأعمال من الذخن والتخمير وغير ذلك .

الزابع : التخييل والخذاع : وذلك كما يفعله بعض المشعوذين حيث يريدون
أنه ذبح صفورا ثم يركبه بعد ذبحه وقد طار وذلك لحفة حر كته ،
والمنذبح في الحقيقة غير الذي طار لأنه يكون معه أثنان قد خبا أحدهما
وهو للذبح وأظهر الآخر .

وقيل : أن سحر مسخرة فرعون كان من هذا النوع .

قالوا : كانت مصيهم وجبا لهم المصنوعة من جلد بحوفة فحشوها زئبقا
وعفروا تحت الموضع أسرابا ملثما نار فلما طرحت عليها الحبال والعصى
وحى الزئبق تحركت لأن من شأن الزئبق التمدد بالحرارة ، فليل للناس
أن هذه الحبال والعصى حيات تتحرك وتسير .

الخامس : السكينة والعراقة بطريق التواعا : وذلك كما يفعله العرافون
والمسكان حيث يوكون أناسا بالإحلاخ على أمرار الناس حتى إذا جام
أصحابها أخبروهم بها ويرحمون أنها من حديث الجن لهم .

السادس : السعي بالقيمة والوشاية بها : وهي بلاغات وإفساد وتضريب
من وجوه خفية لطيفة وذلك هام شائع في كثير من الناس .

وقد حكى أن امرأة أرادت إفساد ما بين زوجين فصارت إلى الزوجة
فقلت لها أن زوجك معر من عندك وقسمه سحر وهو مأخوذ منك
وسأسحره لك حتى لا يريد فترك ولا ينظر إلى مواءك ولكن لابد أن
تأخذني من شعر تحلقه بالموس ثلاث شمرات إذا قام وتطبخها فإن الأمر
يتم بها ، فافترت المرأة بقولها وصديقتها ثم ذهبت إلى الرجل وقالت له أن
إمرأتك قد علفت رجلا وقد عزمت على قتلك وقد وقفت على ذلك من

أمرها فاشفقت عليك ولزمني تصحك فتيقظ قائما عزمت على ذبحك بالמוש
لها في أمرها شك : فتناوم الرجل في بيته ، فلما ظنت امرأته أنه نام عمدت
إلى موش ساد وهو به لتعلق من حلقه ثلاث شمرات ففتح الرجل عينه
فراها وقد أموت بالמוש إلى حلقه فلم يشك في أنها أرادت قتله فقام
فقتلها ، فبلغ الخبر إلى أهلها فجاؤا فقتلوه .

وهكذا كان الفساد بسبب الوشاية والتميمة

السابع : الأدوية وخراص الأعطية : فبعض الأدوية لها خصائص
معيّنة على جسم الإنسان وحفله وتؤثر في فكره فإذا تناولها شخص تصرف
تصرفا غير سليم فيقول الناس : به من أو أنه مسحور .

الثامن : تعلق القلب بشخص معين : فقد يتعلق شخص ما بالإنسان يطاعه
طاعة عباء حتى كأنه سحره .

وهذا النوع قد يرجع إلى نوع أصحاب النفوس الضعيفة وقائمين
النفوس القوية عليها .

هل السحر حقيقة وتأثير

هذه مسألة اختلف فيها العلماء . فذهب جمهور العلماء من أهل السنة إلى أن السحر له حقيقة وتأثير .

وذهب المعتزلة وبعض أهل السنة إلى أن السحر ليس له حقيقة في الواقع ، إنما هو خداع وتوهم وتضليل وأنه من باب السحرة وقد استدل الجمهور على ما ذهبوا إليه بأدلة منها :

١ — قوله تعالى : **مَسَحَرُوا آدَمَ النَّاسَ** واسترهبهم وجاؤا بسحر عظيم . فقد دلت الآية على إثبات حقيقة السحر .

٢ — قوله تعالى : **فَيَتَلَمَّظُونَ مِنْهَا مَا يَفْرَقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ** . فقد أثبتت الآية أن السحر حقيقة وتأثير حيث أمكن السحرة أن يفرقوا بين المرء وزوجه بواسطة .

٣ — قوله تعالى : **وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ** . فقد أثبتت هذه الآية الضرر السحر ولكنة متعلق بمشيئة الله تعالى .

٤ — قوله تعالى : **وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ** . فقد دلت الآية على أن السحر أثر حتى أمرنا أن نتعوذ بالله من شر السحرة الذين ينفثون في العقد .

٥ — وأستدلوا بما جاء في الحديث الشريف أن يهوديا سحر النبي ﷺ وهو حديث مروي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها . ونص الحديث الشريف كما رواه البخاري في صحيحه :

« عن عائشة رضي الله عنها قالت : سحر رسول الله ﷺ رجل من

بن زريق يقال له ليبد بن الأصم حتى كان رسول الله ﷺ يحيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله ، حتى إذا كان ذات يوم لو ذات ليلة وهو ضدى لسكته دعا ودعاهم قال : يا عائشة أشعرت أن لله إثنائي فيما استغث به ؟

إثنائي رجلان ففقد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ، فقال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل ؟ فقال مطبوب ، قال : ومن طبه ؟ قال : ليبد بن الأصم قال في أي شيء ؟ قال : في مشط ومشاطه وجف طلع نقطة ذكر قال وأين هو ؟ قال في بئر ذروان فانماها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه فجاء فقال : يا عائشة كأن ماها انقاعة الحناء وكان رؤوس نعلها رؤوس الشياطين ، قلت : يا رسول الله أفلا استخرجت ؟ قال : قد عافاني الله فكرهت أن أثير على الناس فيه فمرأ فأمر بها فدفنت ، (١) .

واستدلوا على أن للسحر حقيقة وتأثير بدليل عقل وهو أن العقل لا ينكر أن الله قد يفرق المادة عند نطق الساحر بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو مزج بين قوتين على تركيب مخصوص ونظير ذلك ما قطع من حراق الأطباء من مخرج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضر منها بمفرده فيصير بالتركيب نافعا .

وبما روى أن بن عمر رضى الله عنهما ذهب إلى خبير ليخرص ثمرها فصوره إليهم فالتفتت يده فأجلام عمر .

وجاءت امرأة إلى عائشة رضى الله عنها فقالت : يا أم المؤمنين ما على المرأة إذا حقلت بعمرها ؟ فقالت عائشة ولم تفهم مرادها توس عليها شيء ،

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج (٢١) ص ٥٣٩ - ٢٧٢ طبعه
الكتبات الأزهرية .

فَقَالَتْ إِنِّي عَقَلْتُ دُرُوحِي مِنَ الْفَسَادِ فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَخْرِجُوا
هَذِهِ السَّاحِرَةَ (١) .

فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ أَثَرُ السَّحَرِ فِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ أَنَّهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ لَهُ وَأَنَّهُ
يَعَصِيكَ مِنَ النَّاسِ أَجِيبْ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِنَّمَا أَثَرُ السَّحَرِ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى وَأَنَّهُ يَعَصِيكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّمَا لِأَنَّهُ لِلْمَرَادِ مِنْهُ عَصَاةُ الْقَلْبِ
وَالْإِيمَانِ دُونَ عَصَاةِ الْجَسَدِ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ مِنَ الْحَوَادِثِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وَمِنْ ثَمَّ
سَحَرٌ وَشَجٌّ وَجَهْدٌ وَكُسْرٌ وَرَبَاعِيَّةٌ وَرُمِيَ عَلَيْهِ الْكُشْرُ وَالتَّرَابُ وَأَذَاهُ
جَمَاعَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَإِنَّمَا لِأَنَّهُ الْمَرَادُ مِنْهُ عَصَاةُ النَّفْسِ مِنَ الْإِفْتِسَالَاتِ دُونَ
الْعَوَارِضِ لِأَنَّهُ ﷺ كَانَ يَحْرُسُ فَلَمَّا نَزَلَتْ الْآيَةُ أَمَرَ بِتَرْكِ الْحَرَسِ .

هَذَا وَقَدْ اخْتَلَفَ الْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ لِلْسَّحَرِ حَقِيقَةٌ وَتَأْوِيلٌ فِي كَيْفِيَّةِ تَأْوِيلِ
السَّحَرِ ، فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ تَأْوِيلَ السَّحَرِ لَا يَتَعَدَّى تَغْيِيرَ الْمَزَاجِ فَيَكُونُ
فَرَحًا مِنَ الْأَمْرَاضِ .

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهُ يَسْتَطَاعُ بِالسَّحَرِ قَلْبُ الْأَعْيَانِ بِحَيْثُ لَقِيَ إِلَى
الْإِحَالَةِ بِحَيْثُ يُصِيرُ الْجَادُ حَيَوَانًا مِثْلًا أَوْ مَكْنَسًا ، وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجَمُورُ هُوَ
الْأَوَّلُ ، وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ قَلِيلَةٌ إِلَى الثَّانِي فَإِنْ كَانَ النَّظَرُ إِلَى الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ
فَلَمْ يَلَمْ وَإِنْ كَانَ النَّظَرُ إِلَى الْعَقْلِ فَهُوَ بِحُلِّ الْخِلَافِ فَإِنْ كَثُرَ أَوْ مِنْ بَدْعَى
ذَلِكَ لَا يَسْتَطَاعُ إِقَامَةُ الْبَرَهَانِ عَلَيْهِ .

وَقِيلَ أَنَّهُ تَأْوِيلُ السَّحَرِ لَا يُرِيدُ عَلَى مَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ
« يَفْرَقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ » لَكُونِ الْمَقَامِ مَقَامَ تَهْوِيلٍ فَلَوْ جَازَ أَنْ
يُقَعَّ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ لَذَكَرَ .

قال الخازن والصحيح من جهة العقل أنه يجوز أن يقع أكثر من ذلك وقال الآية ليست فصاً في منع الزيادة ولو قلنا أنها ظاهرة في ذلك (١) .

أما أدلة المعجزة على ما ذهبوا إليه فيمكن تلخيصها فيما يأتي

١ - استدلوأ بقول الله تعالى « وسحرُوا أعين الناس واسترهبوهم » هذه الآية التكريهية تدل على أن السحر إنما كان للأعين لحس .

٢ - واستدلوأ بقوله تعالى « يصيب إله من سحرهم أنها نفسى » . فهذه الآية تؤكد أن السحر كان تحيلاً لا حقيقة له .

٣ - واستدلوأ بقوله تعالى « ولا يفتح الساحر حيث أتي » . فهذه الآية تدل على أن الساحر لا يمكن أن يكون على حق لدى العلاج عنه .

٤ - وبما استدلوأ به أيضاً المحقرون فقالوا : لو قدر الساحر أن يمشى على الماء أو يطير في الهواء أو يقاب التراب إلى ذهب على الحقيقة لبطل التصديق بمعجزات الأنبياء وإلتبس الحق بالباطل فلا يعرف الحق من الساحر لأنه لا فرق بين معجزات الأنبياء ومعجزات السحرة وأنه جميعه من نوع واحد .

ويجاب على الدليل العقلى لدى استدلال به المعجزة ومن وافقهم في إنكار أن السحر حقيقة وتأثير يبين الفرق بين المعجزة والسحر صبيان الفرق بينهما يتضح أن زعم القائلين بأن السحر ليس له حقيقة أو تأثير لأنه سيؤدى إلى اختلاط السحر بالمعجزة داخل لا أساس له من الصحة ويمكن رجوع الفرق بين السحر والمعجزة فيما يأتي

أن المعجزة محدودة وشروطها بمنع ظهورها على يد الكاذب بل أهل مخالف السحر في حقيقته وماهيتها الذى قد يظهر على يد المتنبى الكذاب ويمكن إجمال الفرق بين السحر والمعجزة فيما يأتي :

أولاً : المعجزة تكون من فعل الله تعالى وبإيجازه ، وأما السحر فيقع بفعل الساحر ومباشرة أسبابه .

ونقصد من هذا أن المعجزة تخالف السحر في مصدرها فهي واحدة من الجانب الإلهي مباشرة وليس للنبي أى مدخل اللهم إلا الطالب والدعاء قال تعالى : « وما كان لرسول أن يأتي بأية إلا بإذن الله » (١) .

وقال تعالى « قل إنما الآيات من عند الله » (٢) .

وكثيراً ما كان للمشركون يفترون على النبي ﷺ أن يأتي بغير القرآن أو يبدله ، فبرد عليهم أن ذلك ليس من شأنه وليس في مقدوره ، بل الله وحده هو الذي يتصرف في الآيات بإيقاعها أو عدم إيقاعها .

قال تعالى : « وإذا نزل علينا آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسي أن أتبع إلا ما يوحى إلى أنى أخاف أن عصيت ربي عذاب يوم عظيم » (٣) .

فهذه حقيقة بينه في المعجزة بخلاف السحر فإنه يقع بفعل الساحر وبمباشرة أسبابه السحرية سواء كان بالتقرب إلى الشياطين وطلب المعونة منهم في إيجاز سحره ، أم بواسطة خامسيات في نفسه مع فعل أسباب من رقى وعرائم وشعبة وغير ذلك مما هو معروف لدى السحرة ، وبهذا يظهر شاسع البون بين المعجزة والسحر ، وكيف يقف أو يبارى ما كان من فعل الله تعالى وبإيجازه وبشأينه مع ما كان من فعل الساحر الكذاب بمباشرة أسبابه وبمعاطى رذائله ، فالمعجزة من فعل الله مباشرة والسحر من فعل العبد كسبا .

ثانياً : المعجزة تكون خارقة للعادة بمعنى أنها تأتي مخالفة للقوانين

(١) سورة الرعد ٣٨ سورة فاطر ٧٨

(٢) سورة العنكبوت ٥٠ . (٣) سورة يونس آية ١٥

الطبيعية وخواص المادة المألوفة في الكون ، وأعمال السحر فلا يكون خارقاً للعادة السكونية المألوفة والمسرود من هذا أن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون ورتبه ونظمه وأودعه صنفاً ثابتاً لا تتغير ولا تبدل إلا لمن سنها وطرها فلا يقدر الخلق على تغيير سنة الله الثابتة في الكون ، فإذا أراد الله بجلت قدرته أن يؤيد رسالة بالمعجزات جاءت مباشرة من غير إعتداد على تلك الآيات والقرائن الطبيعية . فهي بالتالي خارقة لها ومن هنا صحت تسميتها بخوارق العادات وإنما وقعت المعجزة على هذا الوجه الخارق لأنها بمثابة الشهادة على الصعوبة فوجب أن تكون مخالفة للذات عند العباد . ولكن السحر لا يكون خارقاً بهذا المعنى . أي أنه لا يخرج عن قوانين الطبيعة وسنن الحياة ، فهو بالتالي أمر طبيعي لا يخرج عن مقدور العباد ، ولأن كان قد يسمى خارقاً للعادة فهو من باب التجوز لا الحقيقة .

يقول ابن تيمية : ولا كان الذين يعارضون آيات الأنبياء من السحرة والسكان لا يأتون بمثل آياتهم بل يسكنون بينهما شبه كشبه الشجر بالقرآن (١) .

ويقول الألوسي : والسحر في الأصل مصدر سحر - يسحر - يفتن العين فيما إذا أبدى ما يدق ويخفى ، ويستعمل فيما لطف وخفى سببه ، والمراد به أمر غريب يشبه الخارق وليس به ، وإذا جرى فيه التعليم ويستعان في تحصيله بالتقرب للشيطان بإرتكاب القبائح ، وهذا يتضح لنا أن السحر ليس بخارق للعادة وإنما قد يشبه الخارق لإختفاء سبب ودقة مأخذه .

إذاً لو كان خارقاً لسكان مساوياً للمعجزة ، ولا أدى ذلك إلى إبطال دلالة المعجزة .

ثالثاً : المعجزة لا تنال بالكسب والتعلم وأما المدعى فقد ينال بالكسب والتعلم . وبيان هذا أن المعجزة تخالف السحر في طريق حصولها فلا تحصل المعجزة بالطلب أو الكسب أو الإحتيال والتعلم لأنها منحة إلهية وهبة ربانية يظهرها الله تصديقاً لآيياته المرسلين فهي تقع على وجه قد لا تدرك العقول البشرية وهذا المرعى عدم دخولها في إطار الكسب والتعلم لأن ما لا تدرك العقول لا يمكن تحصيله بالتعلم ولا بشيء ، فكذلك لا يمكن وقوعه من طريق العبادة وهذا بخلاف الأمور السحرية فإنها قد تنال بالكسب والتعلم لأنها داخلية في أفعال العبادة ولها أسباب معروفة تدركها العقول وتستوعبها الأفهام لمن طالبها . ومضى في تحصيلها فهي بالتالي تعتبر في تعداد الأسباب السكونية العادية التي جرت العادة الإلهية بترتيب مسياتها على أسبابها .

يقول ابن تيمية : وآيات الأنبياء لا يقدر أحد أن يتوصل إليها بسبب والسحر والسكينة عما يمكن التوصل إليه بسبب (١) .

فمن أراد أنقائها سلك مسالك أهلها واجتمع بعملها فيحقق نتائجهم أو يتفوق عليهم ، فهي فنون تلزم روادها بالتفريغ والتعلم والمزاولة (٢) .

وهذا نعلم أن كيفية حصول المعجزة تخالفها العقول وتبطل عنها الأفهام ، فهي إذاً بعيدة المثال بطرق الكسب والإحتيال وأما السحر فهو غريب المأخذ سهل المثال لأن أسبابه معروفة وطرقه مفهومة وليس فيه أعجاز للعقول وأن عجزت عنه بعض العقول فلا تعجز عنه جميعها .

رابعاً : المعجزة قابلة للبقاء أمداً طويلاً وأما السحر فهو مريع الزوال . وبيان ذلك أن المعجزة لما كانت بانجساز الله وتأييده وفي دائرة هرقه

(١) أنظر النبوات لابن تيمية ص ٢٩٦

(٢) أنظر المعجزة الخالدة لحسن ضياء الدين ص ٤٥

وسلطانه عز وجل كانت قابلة للبقاء حسب إرادته ومشيئته تعالى وهو الذى تفرد بالبقاء المطلق وله الخلق والإختيار ، فلا يبعد إذاً أن تكون المعجزة تقابلة للبقاء على مر العصور بدون تغيير ولا تبدل ، وهذا ما يناقض السحر فإنه يستحيل عاينه البقاء ، لأنه تأييد القابل للفناء وكيف يمكن غيره البقاء وهو لا يملكه لنفسه .

يقول الشعراني : فإن قلت ... فما الفرق بين المعجزة والسحر والشعوذة (قال جواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر رحمه الله أن الفرق بين المعجزة والسحر ونحوه أن المعجزة تنبئ هي أمر آتياً بعد النبى زماناً والسحر مريع فلا يزال (١) .

وإن كان في كلام الشعراني ما يرم أن ذلك في كل معجزة إلا أننا نقل بهذا بل قلنا أنها قابلة للبقاء لا واحدة في كل معجزة ، والمثال على ذلك هو المعجزة القرآنية .

عامساً : أن المعجزة تزداد وضوحاً وجلالاً مع الإشتار ، وأما السحر فبالإشتار ينكشف ريقه ويزداد وباله ، وبيان ذلك أن المعجزة لما كانت بإذن الله وتتأيده كانت مستنيرة بنور الله تعالى فكما ظهرت للمبشرين فكذلك أصرارها أزدادت وضوحاً وبياناً وجمالاً لما يتجلى طبعاً من النور الإلهي وهذا ما يناقض السحر فإنه إما كان يستمد ظلاماً من ظلام الساحر كان كلما ظهر ازداد ظلاماً وبطناً وقبحاً .

وبهذه الفوارق تتجلى لنا مكانة المعجزة من السحر وأن السحر بجانب المعجزة شيء مخيف وهزيل لا يشبهها على وجه الحقيقة في شيء ، وقد اعترف بذلك علماء السحر ورواوه لما شاهدوه بجانب السحر وأيقنوا أن

(١) انظر البواقيت والجواهر للشعراني ١٣٠ من ١٦٦